

سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العراق، في حوار مع KHAMENEI.IR:

نظرة الإمام الشهيد إلى العراق كانت نظرةً عظيمةً ونابغة من عشق ومحبة فوق الوصف (٢ / ١)



العراقية عقب استشهاده، وقصص التبرعات والعشائر التي طالبت بتشيع جثمانه الطاهر في العراق، وصولاً إلى تقييمه لتداعيات هذا الحدث التاريخي على مستقبل العلاقة بين الشعبين الإيراني والعراقي.

الله نفسه الزكيّة) الخاص بالعراق وشعبه، وتوصياته المتكررة للمسؤولين العراقيين بشأن استقلال البلاد وحزّية شعبه، وذكرياته الأدبية والإنسانية معه؛ إضافة إلى تفاصيل المراسم غير المسبوقه التي شهدتها مختلف المحافظات

نشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي النص الكامل للحوار الذي أجراه مع سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في جمهورية العراق الدكتور محمد كاظم آل صادق، والذي جرى فيه التطرق إلى تعلق الإمام الشهيد السيد علي الخامنئي (قدّس

نُرحب بكم جناب السفير السفير الدكتور آل صادق في منصة KHAMENEI.IR، ونشكركم جزيل الشكر على الوقت الذي خصصتموه لنا، ولا سيما في هذه الأيام التي شهدت نزاحاً شديداً في أعمالكم عقب التشيع العظيم والتاريخي لقائد الثورة الإسلامية الشهيد في العراق.

شكرًا لكم. كما تعلمون، كان للإمام الشهيد -سواء في كلماته أو في سيرته وعمل حياته- تعلق خاص بالثقافة العربية وبدولة العراق. وفي الذكريات الماثورة عنه، شفهيّة كانت أم مكتوبة، إشارات كثيرة إلى مرحلة وجوده في العراق قبل انتصار الثورة الإسلامية، حيث كان يتحدث دائمًا عن العراق بمحبة واهتمام استثنائيين. بعد انتصار الثورة وهجوم نظام صدام على الجمهورية الإسلامية، ظلّت نظرتّه تجاه الشعب العراقي ثابتة لم تتغير، فكان يتحدث عنهم من موقع الأخوة والصداقة. وفي الواقع، فإن خطبه باللغة العربية متوفرة ومشهودة، وقد وجّه فيها خطابات أخوية للغاية إلى جميع الأطياف والجماعات والمكونات الدينية والمذهبية في العراق.

سؤالنا هنا تحديدًا: كيف لمستم إعادة تعريف هذه النظرة للإمام الشهيد نحو العراق وتطبيقها عمليًا خلال فترة علمكم في السفارة هناك؟ وما هي التوصيات التي خضّمكم بها في هذا الشأن؟

أتقدّم بأحرّ التعازي لكم وللمشاهدين الكرام بأيام العزاء الحسيني في شهر محرم، كما أعزيكم بشهادة قائد الأئمة الإمام الخميني، لقد شكّلت شهادته منعطفًا تاريخيًا وتحولًا كبيرًا على مستوى العالم؛ ففي العراق نفسه، من شماله في الموصل إلى أقصى جنوبه، أقام الشعب مجالس العزاء، وتجمهروا في الميادين، بل وتعطلت في سبيل ذلك كثير من مراسمهم وعاداتهم الجارية. لقد كان للإمام الشهيد اهتمام خاص بالعراق والعراقيين، نابع من عمق رؤيته للشعوب ومعرفته الدقيقة وثيقة الصلة بالثقافات. وكتاباته وخطبه الشاهدة على ذلك متوفرة، وكان يتطلع دائمًا -لكون العراق بلاد أهل البيت (ع) ومقر الحوزة العلمية ومركز التشيع- إلى رؤية عراق قوي، مستقل، حرّ، ومتطور.

وكانت توصيته المستمرة للمسؤولين العراقيين تتلخص في ضرورة الحفاظ على استقلال العراق، ورعاية حزّية شعبه الشريف. كما كانت لنظرتّه إلى المرجعية الدينية والحوزات العلمية مكانة خاصة؛ فقد كان يكرّم احترامًا فائقًا، وفوق الوصف لسماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني، ويوصي دائمًا بالعمل بأوامره. أمّا إحاطته ونظرتّه إلى الشعر والثقافة والأدب، ودقّة تذوقه الشعر وفنونه، فقد كانت محل إعجاب وذهول الجميع، وهو ما كنّا نلمسه بوضوح في لقاءاته بالشعراء وأهل الأدب، بل إنه حتى بالنسبة للشعر الشعبي، كان يتأمله بعمق ويدركه بدقة متناهية.

ينقل مرافقو الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري عن لقاءه بالإمام الشهيد، أن سماحته أتى على «القصيدة العينية» للجواهري، وكان يحفظها عن ظهر قلب بكل مهارة! بل وأخرج ديوان الجواهري من مكتبته الخاصة، وقال له: «لقد كتبتُ حواشي وملاحظات على أشعارك». وعندما رأى الجواهري هذا المشهد، قال لإمامنا الشهيد: «استبعد أن يكون هناك قائد عربي يحفظ بيتين من شعري، بينما تحفظ أنت قصيدة كاملة وقرأت ديواني بالكامل!»، وهم حينها بأن يقبل يده. إن هذا ليريهن على عمق المعرفة الأدبية والثقافية التي كان يحملها تجاه الجواهري وتجاه ثقافة الشعب العراقي.

وفي لقاءاته بأصحاب مواكب الأربعين، تجلّت مشاهد عظيمة؛ وكانت لكلماته السامية والمفعمة بالمحبة معهم آثارًا وبركاتًا مازالت قائمة حتى اليوم. وكلما زارنا المواكب في موسم الأربعين، نجد تلك الذكريات حاضرة حيّة في أذهانهم، وكانوا يتمنون أن تتكرر تلك اللقاءات في حياة قائد الأئمة الشهيد.

والآن، أتوجه بطلب ورجاء ملجّ إلى قائدنا العزيز ونور أعيننا، سماحة آية الله السيد مجتبي الخامنئي، بأن يتاح لنا -إن شاء الله وفي الظرف المناسب- تكرار هذا المشهد مع عشائر العراق، ليتشرفوا باللقاء والحضور بين يديه، وهم أهل لهذا الاستحقاق؛ فقد رأينا غيرتهم وشغفهم وحضورهم الفاعل والحاشد إبان مراسم

في فصل الشتاء»، فكانوا يجيبون: «للمهورية الإسلامية حقها، وهذا التبرّع أيضًا للبنان». أي إنهم أقبلوا المساعدة البديين معًا، بروح صادقة وشعور نبيل، وقدموا تبرعاتهم بكل محبة. وأعود إلى قصة الدراجة الهوائية. فبعد أن تبرع بها ذلك الطفل، بادرت المستشارة الثقافية، من باب الوفاء، إلى إهدائه دراجة جديدة وجيدة تعويضًا عنها؛ لكن المشهد الأجمل كان حين اتصل بي أحد أعضاء مجلس النواب، وقال: «تقديرًا للهمة هذا الفتى وإيثاره، اشترت له سيارة وأرغب في تقديمها إليه، وأودّ حضوركم في هذه المناسبة». فأجبت: «لدي ارتباط مسبق؛ فقد دعيتي إحدى العشرات في إحدى المحافظات إلى حضور مراسم هناك، فأعذر؛ لن أتمكن من المشاركة».

ثم وقع أمرٌ أعجب من ذلك؛ إذ اتصل بي والد ذلك الطفل نفسه، وقال: «لقد تبرعتُ بدراجتي، فأهدوني سيارة، وأنا الآن أريد أن آتي بها إلى السفارة لأهديها للجمهورية الإسلامية». أين يمكن للمرء أن يرى عمق هذه المحبة، وقوة هذا الارتباط بين الشعبين؟ إنّ محورهما ليس سوى الإمام الحسين (ع) وأهل البيت (ع). ولذلك كان الشعر الذي رُفع في إحدى زيارات الأربعين دقيقًا كل الدقة: «حبّ الحسين يجمعنا». فهذا الشعر يتجسد هنا على أرض الواقع، ونحن نشهد مثل هذه المواقف بأعيننا.

وعلى أي حال، فقد تلقيتُ دعوات من مشائر كثيرة في محافظات مختلفة، وأعلنت هذه العشائر، في تجمعاتٍ مسلحة، استعدادها للدفاع عن الجمهورية الإسلامية، مؤكدة أنها جاءت لتلقف إلى جانبها. وكانوا يقولون: «لقد جعلتنا الجمهورية الإسلامية، في هذه الحرب، مرفوعي الرأس، وأعزتنا». لقد كان هذا دفاعًا عن التشيع، وعن الأئمة الإسلامية، وعن محور المقاومة؛ فالجمهورية الإسلامية هي التي تتولى الدفاع عن هذه القضايا. وكانوا يعلنون استعدادهم للذهاب إلى القتال، وكنا نقول لهم: «أيها الإخوة، إنها حربٌ جوية، ولو كانت حربًا برية، لكنتم، بلا شك، في مقدمة الصفوف، وشاركتم في القتال قبلنا».

لقد شهدنا مواقف مؤثرة للغاية. ففي إحدى المحافظات التي زرتها، وهي محافظة واسط، كنت ألتحدّث في جمع من شيوخ العشائر. وبعد انتهاء المراسم، قدّم لي أحد شيوخ المحافظة بندقيّة قديمة من طراز «برنو» مع حملاتها، وقال لي: «لقد أهداها جدّي إلى جدي، ثم ورثها أبي، ثم آلت لي؛ لكنني، حبًا واحترامًا للجمهورية الإسلامية، ولالإمام الشهيد، وتقديرًا لما قامت به الجمهورية الإسلامية، أهديها إليكم». ومازلت أحتفظ بها في مكتبي بكل فخر. إنّ مثل هذا المشهد يجسد عمق العلاقة بين الشعبين. وفي الناصرية أيضًا، وهي محافظة لها خصوصيتها، وُجّهت إلى الدعوة مرتين. وكانت أول مراسم التشيع الرمزية العفوية قد انطلقت

الغدِير، وهي من الأعياد ذات المكانة الكبيرة لدى العراقيين. وفي عيد الفطر، ظهر مشهدٌ لافتٌ في منطقة بين الحرمين، أثناء صلاة العيد، عُرض على شاشات التلفزة؛ حيث جرت مقارنة بين صلاة عبد الفطر في العام الماضي وصلاة العيد هذا العام. وقد عبّر الناس، بغفوية تامة، وبدون أيّ توجيه؛ ولكن بتنظيم لافت، عن حزنهم. فلو وضعت صورتين إلى جانب بعضهما، لرأيت إحداهما يغلب عليها اللون الأبيض تمامًا، والأخرى يغلب عليها السواد بالكامل. ففي عيد العام الماضي، كان الناس يرتدون الملابس البيضاء الجديدة والنظيفة، أما هذا العام، فقد ارتدى الجميع السواد.

وفي العائلات أيضًا، كان كل من تلقّيه يقول: «إن عائلتنا في حالة حداد»، وكانت مظاهر البكاء والنحيب والحزن بادية في كل مكان. وكنت ترى في الأزقة والأحياء لافتاتٌ كتب عليها، على سبيل المثال: «مجلس عزاء نسائي بمناسبة استشهاده الإمام الخامنئي»، حيث كانت تُقام مجالس العزاء. كما ألغت العشائر مراسم تبادل الزيارات الخاصة بالعيد.

أما إدارات العتبات المقدسة العلوية والحسينية والعباسية، والتي اعتادت في الأعياد السنوية وموالات الأئمة (ع) تزيين الأضرحة بالورود، فقد امتنعت عن ذلك بعد استشهاده سماحته، بل وعُلّقت على نوافذ الاستقبال في العتبات إعلانًا جاء فيه: «لا نتقبّل أيّ تهنئة بمناسبة العيد»، وأعلن هذا العام إلغاء الزيارات والمعابدات الخاصة بالعيد.

وأعلن أحد كبار المسؤولين في السلطة القضائية العراقية أنه، طوال الأيام الأربعين التي أعقبت استشهاده سماحته، لم يُسجّل عقد زواج واحد في المحاكم. ففي المحافظات ذات الغالبية الشيعية، يُسجّل الزواج قانونًا في المحاكم.

وهذا ليس بالأمر الهين؛ فمعناه أن الناس أوقفوا جميع تلك المراسم، وأرجؤوا عقود الزواج إلى موعدٍ آخر.

ومن بين تلك التبرعات، جاء طفلٌ في الحادية عشرة من عمره وقدّم دراجته الهوائية، كما خلعت طفلة في الرابعة أو الخامسة من عمرها قبطها وأهدته. وكنا في السفارة نجمع التبرعات، وفي خلال أقل من شهر -سواء ذكر هذا الرقم أم لم يُذكر- جمعت تبرعات تُقدّر قيمتها بما يقارب خمسة ملايين دولار، إضافةً إلى أكثر من ثلاثة كيلوغرامات من الذهب تبرّع بها الناس. وبما أن فتوى سماحة آية الله السيستاني كانت تدعو إلى مساعدة إيران ولبنان، فإن مجيء الناس إلى السفارة كان يعني أن تبرعاتهم مخصصة للجمهورية الإسلامية. ومع ذلك، كُنّا نوصيهم بالأينسوا اللبنانيين، وكان الإخوة في القسم القنصلي يقولون لِمُلتعبرين: «لو أمكن، خصصوا جزءًا من هذه المساعدات للبنان أيضًا، فالشعب اللبناني وأنصار حزب الله يعيشون ظروفًا قاسية من النزوح، ونحن

فالعراق -للأسف- يعاني من أزمة في الطاقة الكهربائية بسبب المشاكل في بنيتها التحتية. في العقود المبرمة بيننا بخصوص الكهرباء، كان يحدث أحيانًا أن ينخفض تصدير الكهرباء لظروف طارئة. سواء لأسباب مالية أو غيرها، ولا أريد الخوض في تفاصيلها. فكان سماحته يشدد دائمًا على ضرورة مراعاة أحوال المجتمع العراقي والاهتمام بمخاوفهم وشؤونهم. لقد كان يعدّ أمن العراق من أمنا، وفرحة العراقيين فرحته، وحزنهم حزنه. وقد بلغت هذه الرسائل مسامع العراقيين، وأدركوا عمق محبته وعاطفته الصادقة تجاههم.

وحين أسأل أحيانًا عن سرّ هذه المحبة العارمة، يأتيني الجواب: «مواقفه ودعمه الثابت». فنحن نذكر جميعًا كيف كان لفتوى السيد السيستاني إبان حرب «داعش» أثرٌ مفصليٌّ عظيم في تحشيد الشعب العراقي للدفاع عن أرضه؛ لكن العراقيين لا ينسون كذلك أوامره المباشرة بتزويد العراق بالسلح فوزًا، ومن دون الاشتراط بعقود أو مسابقات بيروقراطية، بل كان توجيه أن يصل السلاح إلى أيديهم أولاً ليدفعوا عن أنفسهم الخطر، ثم تتلو ذلك المسائل الإدارية والعقود والحسابات. وبطبيعة الحال، لم يكن الأمر بغير حساب كما قد يظن البعض، لكنه لم يكن مشروطًا بشرط تعجيزي كما فعل الأمريكيون أو بعض الدول العربية التي مُدت إليها يد الحاجة فتقاعست عن التزويد.

لقد فتحت الجمهورية الإسلامية مخازنها، وكان للشهيد سليماني هاهنا الملمحة الكبرى؛ في تعبئة الشعب العراقي، والتدريب، والتنظيم، وإدارة ساحة المعركة. فكان أن تحقق هذا النصر بفضل فتوى المرجعية الدينية، وبمسالة الحشد الشعبي، وبدعم الجمهورية الإسلامية، حتى طُويت صفحة «داعش» بتكاتف هذين الشعبين والدولتين.

نسأل الله أن تتواصل هذه العلاقات وتتطور دائمًا، وأن نضع نصبًا أعيننا لتعليمات وتوصيات إمامنا الشهيد، وأن نبذل أقصى الجهد في سبيل تعميق هذه الروابط وتوسيع آفاقها، إن شاء الله.

أشرتُم في حديثكم إلى المراسم التي أقيمت في مختلف أنحاء العراق عقب استشهاده الإمام الشهيد، وإلى اتساع نطاقها وطبيعتها. أودّ لو تحدّثتم أكثر عن تلك المراسم؛ هل شاركتُم فيها؟ وهل وُجّهت إليكم دعوات للحضور، أم شاركتُم فيها بمبادرة شخصية؟ وكذلك نوذ أن تحدّثونا عن مراسم التشيع، وكيف نشأت فكرة تشيع الإمام الشهيد في العراق، وكيف تبلورت؟

كما ذكرتُ، فقد كنّا نرى في العراق، من الموصل إلى البصرة، ومن أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، مظاهر الحزن والأسى والتأثر في كل مكان. فبعد استشهاده الإمام في شهر رمضان، جاءت مناسبات عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد

التشيع، وإنها لفرصة جليلة أن يتحقق هذا الأمر ويلتقي شيوخ عشائر العراق بسماحته في الوقت المناسب.

جناب السفير، لقد تحدّثتم عن بعض توصيات الإمام الشهيد، وعن بعض الكلمات المفتاحية» التي تكررت كثيرًا في كلامه، سواء في لقاءاته مع المسؤولين العراقيين أم في لقاءاته العامة؛ من قبيل: «العراق المستقل»، و«العراق المتطور»، فضلًا عن العناية الخاصة التي كان يوليها للشباب العراقي، حتى إنه كتب إليهم رسالة بخط يده باللغة العربية، عبّر لهم فيها عن محبته قائلا: «إنني أحبك»، وتمنّى لهم مستقبلًا مشرقًا؛ وذلك على الضدّ تمامًا لما نراه في وسائل الإعلام المعادية للجمهورية الإسلامية ولجبهة المقاومة، والتي تسعى دائمًا إلى ترويع عكس ذلك.

السؤال الذي أودّ طرحه على سماحتكم هنا: ما هي أبرز التوصيات وأكثرها تكرارًا التي كان يوجهها إليكم في المجال السياسي بوصفكم سفيرًا للجمهورية الإسلامية، خلال جلساتكم ولقاءاتكم بالإمام الشهيد؟

نظرة سماحته العامة إلى العراق كانت نظرةً عظيمة وشاملة. كان ينظر إلى العراق بعشقي ومحبة فوق الوصف، ومن جملاته الشهيرة في لقاءه بجمهورة من العلماء العراقيين، قوله: «متلنا ومتلكم؛ لحمنّا لحكمك، ودنّا دُكم». علمًا بأن هذه المقولة تعود أصلًا لإمامنا الشهيد، وقد أجرى الله هذه العبارة أيضًا على لسان الشهيد رئيسي، وكان لها أثرٌ عميقٌ وملمس في العراق. إن العراق بلدٌ شاب؛ إذ إنّ أكثر من ٥٠٪ من سكّانه هم دون سن الخامسة والعشرين، و ٧٠٪ منهم دون سن الخامسة والثلاثين. وطبقًا للإحصاءات الرسمية، فإن ٦٠٪ من المجتمع العراقي -من الرجال والنساء- هم من القوة العاملة؛ وهذه طاقة بشرية وهائلة. وكان الإمام الشهيد يحرص دائمًا على أن يتبوأ الشباب مكانتهم المستحقة في المجتمع العراقي، وأن ينهضوا بدهورهم ويفكروا بمستقبل بلادهم. وقد أدرك العراقيون هذه العاطفة السامية، ولهذا السبب أحبوا الإمام عشقًا وشغفًا.

إن المشاهد التي تجلّت خلال مراسم التشيع كانت مشاهد مذهلة؛ فقد رأيتُ فتى مرافقًا يركض خلف الجثمان الطاهر لسماحته، يخلع قميصه ويلقيه بشوقي ليتبرّك بالجنّان، ثم يعود إليه القميص فيتلّقه بفرح وإبتهاج لا يوصفان. ورأيتُ شبابًا احتضنوا صور الإمام وناموا في الحدايق العامة وعلى أفرعة الشوارع منذ الليلة السابقة، ينتظرون لحظة مرور الجثمان لتقرّ أعينهم برؤية التابوت الطاهر. لقد كانت تلك المشاهد تجسيّدًا حيًّا لأعلى درجات العشق والمحبة التي يجيش بها الشارع العراقي. من هنا، كانت نظرتّه إلى العراق نظرة استثنائية.